يرتفع صوت المرتل الوحيد في كنيسة رأس بيروت الى جانب ثوب الكاهن. ونحن نقف امام الايقونات الواسعة العيون ، نستمع الى الصلاة ، نراقب حركات الكاهن وهو يتكلم بصوت مرتفع عن معنى الاستشهاد .

الكنيسة سفينة ، وجابر داخل سفينته ، ونحن داخل السفينة الواسعة. في الخارج ، كانت اصوات الطلقات ترتفع ، والحركة تتقدم .

حملناه مرة ثانية ومشينا . كانت خطواتنا على الاسفلت ، تشبه مجاديف البحارة القدماء وهم يقودون سفينتهم الى الشاطيء . الاصوات تنخفض ، والشمس تشرق ، والايدي المرتفعة تمسك بالخشب المستطيل ، والسفينة تتهادى .

امام الحفرة الواسعة وقفنا .اخذنا السفينة ووضعناها داخل الرمل والتراب .

ـ لقد غرقت السفينة .

ـ لا لم تغرق .

تدخل السفينة التراب ، ترتاح ، بين طلقاتنا والهتاف المرتفع ، وصوت الكاهن وهو يردد الكلمات الاخيرة : من التراب والى التراب تعود .

نظرت الى سالم ، كان يخفي حزنه خلف وجهه المستطيل وابتسامته الشاحبة .سألني عن الحرب ، كيف ستنتهي الحرب ؟

لن تنتهي هذه الحرب اجاب سمير ، لقد بدأ الموت وبدأت الحرب .

كان الصمت والبحر والسفينة ، لكن سفينة الاب مرسيل لا تغرق ، تتحطم فقط .وجابر في سفينته التي تتهادى كأميرة .ثم تسقط ، لحظة ، لحظة ،حتى يصل التراب الى مستوى الارض من جديد ، ولا يبقى سوى كتابات واصوات وطلقات.

ـ ما هو الفرق بين الكاهن والبوليس يا ابونا اندريا ؟

ـ لماذا لم تقتلوني ، يسأل الاب مرسيل ؟

ـ ما هو الفرق بين الحرب والحرب الاهلية ؟ يقول سالم .

الموت عصفور يقول جابر . وطلال يحلم ببحر طويل كشعر حبيبته .يحمل الكاميرا والبندقية ويقفز بين الموج .